

مخطوطات ومطبوعات

الإمتاع والمؤانسة

تأليف أبي حيان التوحيدى صححه وضبطه وحققه الأستاذان احمدامين بك واحمد الزين

طبع في القاهرة سنة ١٩٤٤ في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

الجزء الثالث من ٣٣٠ عدا الفهارس

صدر هذا الجزء وهو الأخير من كتاب الإمتاع والمؤانسة (راجع الكلام على الأول والثاني في م ١٦ ص ٣٦٣ وم ١٧ ص ٥٤٤ من هذه المجلة) وفي هذا الجزء كطربديه كل ممتع من أحاديث أبي حيان مع الوزير ابن العارض في الاربعين ليلة التي سامره بها . ومن أهم ما في هذا الجزء ما نقله المسامر من وصف أحد البلغاء للتجار وقوله لا يوجد الأدب الا عند الخاصة والسلطان ومديره وأما أصحاب الأسواق فانا لا نعدم من أحدهم خفقا ذميا الى آخر ما قال فيهم [ص ٦١] وقول الوزير له : ان كان هذا الواصف عنى العامة بهذا القول فقد دخل في وصفه الخاصة أيضا فوالله ما اسمع ولا أرى هذه الاخلاق الا شائعة في أصناف الناس من الجند والكتاب والتناء [الأعيان] والصالحين وأهل العلم لقد حال الزمان الى أمر لا يأتي عليه النعت ولا تستوعبه الأخيار وما عجيبي الا من الزيادة على مر الساعات . ومن أجل ما فيه قول الوزير [ص ٨٥] «انه ضاق صدره بالغيظ» لما يبلغه عن العامة من خوضها في حديث الأمراء وسيرتهم وتتبع أمرارهم وانه هم في الوقت بعد الوقت بقطع السنة وأيدي وأرجل وتنكيل شديد لعل ذلك يطرح الهيبة ويحسم المادة ويقطع هذه العادة . وقول أبي حيان ان عنده جوابين فيهما بعض الغلظة وقال ان الحق مر ومن توخى الحق احتمل مرارته فأراده الوزير على ايرادهما وقال : ليس ينتفع بالدواء الا بالعبر على بشاعته وصدود الطبع عن كراسته فكان الجواب الأول مقتبسا من كلام شيخه ابي سليمان المنطقي وفيه تحليل سرخوض الناس في أمور الحكم وخلاصة الجواب الثاني مارواه جماعة من الصوفية قصدوا الى جماعة

من انزهاد في أيام الفتنة بخراسان وسؤال هؤلاء لأول ساعة عن الأخبار وما كان من الفتنة واستغرابهم ان يهتم أمثالهم لمثل هذه الأمور الدنيوية ، وكشف ابي الحسن العامري الفيلسوف لهم مرّة ذلك لما سألوه حلّ هذا الاشكال وكل ذلك ببيان عجيب يفهم منه روح ذلك العصر .

ومما حمله هذا الجزء فصل ممتع في الإرادة والاختيار والنفس تتشربه النفوس مها كانت بعيدة عن معاناته لأنه كتب بذوق متناه . وسأل الوزير ليلة : من أين دخلت الآفة على أصحاب المذاهب حتى افرقوا هذا الاقتراق وتباينوا هذا التباين وخرجوا الى التكفير والتفسيق رابحة الدم والمال ورد الشهادة واطلاق اللسان بالجرح والقدح والتهاجر والتقاطع . فكان الجواب : ان المذاهب فروع الأديان والأديان أصول المذاهب فاذا ساغ الاختلاف في الأديان وهي الأصول فلم لا يسوغ في المذاهب وهي الفروع . فقال : ولاسواء الأديان اختلفت بالأنبياء وهم أرباب الصدق والوحي الموثوق به والآيات الدالة على الصدق وليس كذلك المذاهب . فقيل : هذا صحيح ولا دافع له ولكن لما كانت المذاهب نتائج الآراء والآراء ثمرات العقول والعقول منائح الله للعباد وهذه مختلفة بالصفاء والكدر والكمال والنقص وبالقلة والكثرة وبالخفاء والوضوح وجب أن يجري الأمر فيها على مناهج الأديان في الاختلاف والافتراق وان كانت منوطة بالنبوة . وبعد فما دام الناس على فطر كثيرة ، وعادات حسنة وقبيحة ، ومناشئ محمودة ومذمومة ، وملاحظات قريبة وبعيدة ، فلا بد من الاختلاف في كل ما يُختار ويحتجب ولا يجوز في الحكمة ان يقع الاختلاف فيما جرى مجرى المذاهب والأديان ، الا ترى ان الاتفاق لم يحصل في تفضيل أمة على أمة ولا في تفضيل بلد على بلد ولا في تقديم رجل على رجل ، ولو لم يكن في هذا الأمر الا التعصب واللجاج والهوى والحك والذهاب مع السابق الى النفس والموافق للمزاج والخفيف على الطباع والمالك للقلب لكان كافياً بالغاً بالانسان كل مبلغ . وشيخنا ابو سليمان يقول كثيراً ان الدين موضوع على القبول والتسليم والمبالغة في التعظيم وليس فيه « لم » و « لا » و « كيف » الا بقدر ما يؤكد أصله ويشد ازره وينفي عارض السوء عنه لأن ما زاد على هذا يوهن الأصل بالشك م (٥)

وبقدح في انفرع بالتهمة . قال وهذا لا يخص ديناً دون دين ولا مقالة دون مقالة ولا نحلة دون نحلة بل هو سار في كل شيء في كل حال في كل زمان وكل من حاول رفع هذا فقد حاول رفع الفطرة ونفى الطباع وقلب الأصل وعكس الأمر وهذا غير مستطاع ولا ممكن .

ومما كتب به التوحيدى الى الوزير وهو ما يستدل منه انه كان سفير خير قوله يجب على كل من آتاه الله رأياً ثاقباً ونصيحاً حاضراً وتنبهياً نافعاً ان يخدمك متحريراً لرسوخ دعائم المملكة بسياستك وريادتك قاضياً بذلك حق الله عليه في تقويتك وحياطتك . واني أرى على بابك جماعة ليست بالكثيرة - ولعلها دون العشرة - يؤثرون لقاءك والوصول اليك لما تُتجن صدورهم من النصائح النافعة والبلاغات الجديدة والدلالات المنيفة ويرون انهم اذا أهلوا لذلك فقد قضوا حَقك وأدوا ماوجب عليهم من حرمتك وبلغوا بذلك مرادهم من تفضلك واصطناعك وتقديمك وتكريمك والحجاب قد حال بينهم وبينك ولكل منهم وسيلة شافعة وخدمة للخيرات جامعة منهم - وهو أهل الوفاء - ذوو كفاية وأمانة ونباهة ولباقة ومنهم من يصلح للعمل الجليل ولرتق الفتق العظيم ، ومنهم من يمتنع اذا نادى ويشكر اذا اصطنع ويذل الجهود اذا رفع ومنهم من ينظم الدر اذا مدح ويضحك الثغر اذا مزح ومنهم من قعد به الدهر لسنه العالية وجلابيه البالية فهو موضع الاجر المذخور وناطق بالشكر المنظوم والمنثور ومنهم طائفة أخرى قد عكفوا في بيوتهم على ما يعينهم من أحوال أنفسهم في تزجية عيشهم وعمارة آخرتهم وهم مع ذلك من وراء خصاصة مرة وموئن غليظة وحاجات متوالية ولهم العلم والحكمة والبيان والتجربة ولو وثقوا بأنهم اذا عرضوا انفسهم عليك وجهزوا ما معهم من الأدب والفضل اليك حظوا منك واعتزوا بك لحضروا بابك وجشعوا المشقة اليك لكن اليأس قد غلب عليهم وضعفت منتهم وعكس أملهم ورأوا ان سف التراب أخف من الوقوف على الأبواب اذا دنوا منها دُفعوا عنها فلو لحظت هؤلاء كلهم بفضلك وادانيتهم بسعة ذرعك وكرم خيمك وأصفيت الى مقالتهم بسمعك وقابلتهم ببلء عينك كان في ذلك بقاء للنعمة عليك

وصيت فاش بذكرك وثواب مؤجل في صحيفتك وثناء معجل عند قريبك وبعيدك والأيام معروفة بالنقلب والليالي ماخضة بما يتعجب منه ذواللب والمجدود من جده في جده اعني من كان جده في الدنيا موصولاً بحظه من الآخرة ولأن يوكل العاقل بالاعتبار بغيره خير من أن يوكل غيره بالاعتبار به . ايها الوزير اصطناع الرجال صناعة قائمة برأسها قل من بني يربطها أو يتأني لها او يعرف حلاوتها وهي غير الكتابة التي تتعلق بالبلاغة والحساب .

وفي هذا الجزء كثير من درر الأقدمين خليقة بأن يتنافس في اقتنائها وينظر فيها الدارسون نظر تأمل وتفكير ونكرار ثناء للأستاذين الناشرين وللجنة التأليف والترجمة والنشر التي أخرجت الكتاب في هذا الوقت الصعب على أحسن ما يجب نشره للناس ورجاؤنا ان توفق الى نشر أمثاله خدمة للآداب وإحياء لآثار أجدادنا

محمد كرد علي

ابن الرومي : حياته من شعره

عباس محمود العقاد

لم يقص الأستاذ عباس محمود العقاد في كتابه : ابن الرومي ، قصة هذا الشاعر ولا سرد أخباره على نحو ما تقص القصص وتسرد الأخبار عادة ، مجردة من عناصر الحياة ، وإنما صور الأستاذ العقاد شاعره ابن الرومي تصويراً ، والصورة اذا لم تكن ناطقة كانت غير بارعة ، ولكن الأستاذ العقاد جمع لصورته عناصرها كلها ، فلم يفنه شيء من خطوطها وألوانها ، ولا من ظواهرها وبواطنها حتى أصبحت صورته كأنها جسم حي وكأنها روح ناطقة .

شرع الأستاذ في وصف عصر ابن الرومي ، فوصفه وصفاً أقل ما يقال فيه ان القارىء يحسن بأنه من أهل ذلك العصر يشهد آثار الغضب والفنك والدماس في الدولة ، ويلس آثار الترف واللهو في المجتمع ، وعلى الجملة فإن العصر الذي عاش فيه ابن الرومي إنما هو عصر سلب وغيلة واغتنام فرص وانتهاج لذات وشك وتشعب ، ولكن من محاسن ذلك العصر صلاحه لعقريبة شاعر مثل ابن الرومي لأنه عصر حي حافل بأشتات الحياة وألوان الاحساس .

ولم يقتصر الأستاذ العقاد على مجرد وصف العصر الذي عاش فيه ابن الرومي وإنما وضع الصلة بين الشاعر وبين عصره فلم يكن ابن الرومي غريباً عما كان يجري في عصره من سفك دم أو من ذوق لذّةٍ وغير ذلك وإنما كان شعره في بعض المواطن مرآة ثورة أو لذّة .

وعلى هذا النحو من التوضيح والتفصيل سار الأستاذ العقاد في اتمام صورة ابن الرومي ، فما كان يخرج من فصل عصره حتى يدخل في فصل أخباره وما كان يخرج من فصل أخباره حتى يدخل في فصل حياته وكل همه في هذه الفصول ان تكون صورة ابن الرومي كاملة غير مشوّهة ، ناطقة غير جامدة ، مشرقة غير كئيدة وإذا أعوزه شيء من الخطوط والألوان استعان بشعر ابن الرومي نفسه فاستخرج منه ما يعينه على استكمال الصورة حتى لا يحتاج الى شيء من الوضوح والإشراق بحيث انك لا تقرأ كتاب : ابن الرومي ، الا وجدت فيه وحدة تامة بين شعره وحياته ، وهذا ما حرص عليه الأستاذ العقاد في كتابه كله ، لقد حرص على بيان الطبيعة الفنية في ابن الرومي ، وهي التي تجعل من الشاعر جزءاً من حياته ، فابن الرومي وفنه كانا شيئاً واحداً ، كان ابن الرومي شاعراً ولو لم يكن شاعراً لما استطاع ان يكون مثلاً فيلسوفاً أو وزيراً أو غير ذلك .

ولم يكن اهتمام الأستاذ العقاد بالفصول التي تصور عبقرية ابن الرومي أو فلسفته أو صناعته أقل من اهتمامه بالفصول التي تصور حياته المادية ، لقد كانت صورة ابن الرومي كاملة من الناحيتين : من ناحية الحياة المادية ومن ناحية الحياة الفنية ، لم يهمل الأستاذ العقاد شيئاً مما يوضح عبادة ابن الرومي للحياة أو حياته مع الطبيعة أو التقاطه للصور والأشكال أو تشخيصه للمعاني أو تقديمه الجمال على الخير أو نظرتة الى الدنيا نظرتة الى المعرض المنسوب للتلمي والمتعة الى غير ذلك من خصائص عبقرية ابن الرومي وهي خصائص العبقرية اليونانية على وجه عام .

وهكذا كانت براعة الأستاذ العقاد في وصف فلسفة ابن الرومي وصناعته . وأظن ان كتاب : ابن الرومي انما هو عنوان قدرة الأستاذ العقاد ، ولا أرى

بي حاجة الى زيادة في القول .

سفيان مبري